هروب

سيبيعنا بأبخس ثمن، إنه نسل (يهوذا) وخلقته، فكيف نأمن لهذا الرجل؟، المسودة يبحثون عنا في كل مكان، ويعرضون المكافآت وجزيل العطاء لمن يرشد عنا، يقف أمامنا يخبرنا أنه ذاهبٌ إلى السوق لشراء بعض احتياجاتنا، أنفاسه الخبيثة تعكر الهواء حولنا، وعيناهُ الجاحظتان يطل من شرفتها الموت، لا بد أن نغادر، ما باليد حيلة، سيبيعنا حتما، تلك الذئاب السوداءُ تطاردُنا ولن تهدأ حتى تتذوق لحومنا، شياطين يهدمون ويحرقون كل ما هو (أموي)، إنهم ينبشون القبور يبحثون عن بقايا عظام أموية ليحرقوها.. ما هذا الكره الأعمى؟! ماذا صنعت أيدينا ليحق علينا غضب الله؟، هل هو غضب أم ابتلاء؟! أين أنت يا جدي لتدفع عنا ما نحن فيه من البلاء والذل؟، لا حرمة لدمائنا، وكأن قتلنا يقربهم من الجنة، أتسأل كيف لهذا الصرح الأموي أن ينهار بتلك السهولة؟ كيف نخَر فيه السوس فهوى كشهاب محترق، كنا كالثريا، تلمع قناديلُنا في الدجى فأطفأتها يد الأحداث، وبعد أن كانت تنحني لنا الجباه؛ صرنا كالدود في الأرض نختبئ تحت الأحجار والصخور، نفرُّ من أقدارنا كالعميان، أسمع دبيب الموت يقترب، أأظر إلى أخي الصغير، مات أبي قبل أن يرى أخي النور، فكنت أباه الذي علمه كل شيء، أول حرف، وأول رمية سهم، وأوّل ضربة سيف، نعدو بكل ما أوتينا من قوة، نسابق الموت، ونحن نعلم أننا نفر من القدر إلى القدر، يقتربون.

-سيقتلوننا يا (عبد الرحمن). أخي يصرخ خائفا.

- لا تخف.

يبدو أمامنا نهر الفرات، آمر أخي بالقفز في النهر، وبضربات أذرع مذعورة نسبح، أراهم يقفون كالشياطين على ضفة النهر ولا يحاولون نزول الماء وكأن الماء يُخيفهم

يقول كبيرهم: عودوا، ولكم الأمان، لقد عفا الأمير عنكم. كلماته تخرج من فمه كأنها فحيحُ أفعى رَقْطاء، الضفة الأخرى بعيدة ولكن الغرق أهونُ من أن أقع بين أيديهم.. ألتفت إلى أخي الصغير لأشجعه على المضيّ، لأجده يعود إليهم!

أصرخ:

عد يا (هشام).. عد.. سيقتلونك.. عد يا أخي.

أكاد أغرق، أواصل العوم، الحزنُ يعتصر قلبي بيدين لا تعرف الرحمة.

أصل إلى الضفة الأخرى، أرى أخي بين أيديهم.

يقول شيطانهم الأكبر: ألن تأتي لتنضم إلينا؟

يقول أخي وماء النهر يتقاطر من شعر رأسه: صدقهم يا (عبد الرحمن)... صدقهم

اصرخ: اتركوه... اتركوه.. إنه ما زال صغيرا!

يضحك كالشيطان: الموت لا يفرق بين صغير وكبير، ثم من يأتي إلينا لا نتركه.. بل نذبحه ومرَّرَ نصل سيفه على رقبة أخي المذهول ليسقط صريعًا وجسده ينتفض في صمت.

أستيقظ من النوم فزعا، أنا علي سريري... في قصري الكبير.. في قرطبة عاصمة الأندلس، أنا أمير الأندلس وما يزال ذلك الكابوس يقتلني كل يوم، أرى شبح أخي الصغير يقف بجانب النافذة؛ يرمقني بنظرة تقول: لماذا تركتني يا أخي؟ لماذا؟!